Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

العمل الزراعي وممارسيه في النسق الفكري الخلدوني من خلال "المقدمة"

Agricultural work and its practitioners in the khaldounian intellectual pattern through “the introduction”

صبرينة بولامة Sabrina Boulma1، يوسف عابد Youcef Abbed 2

1 طالبة دكتوراه، جامعة قسنطينة2-عبد الحميد مهري-، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، مخبر البحوث والدراسات في حضارة بلاد المغرب الإسلامي. PhD student, University Constantine2-Abd el Hamid Mehri-, College of Humanities and Social Sciences, Department of History, laboratory of research and studies in the civilization of the Islamic Morocco.
sabrina.boulama@univ-constantine2.dz.

2 أستاذ التعليم العالي، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، مخبر البحوث والدراسات في حضارة بلاد المغرب الإسلامي. Professor of higher education, College of Literature and Islamic Civilization Department of History, Laboratory of research and studies in the civilization of the Islamic Morocco.
youcef.abbed@gmail.com

المؤلف المرسل: صبرينة بولامة Sabrina Boulama الإيميل: sabrina.boulama@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام: 2022-08-10 تاريخ القبول : 2023-08-18

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى مساءلة التمثلات الفكرية الخلدونية حول الزراعة والمزارعين من خلال كتابه الشهير باسم "المقدمة"، والذي تعرض فيه ابن خلدون لموضوع الزراعة كنشاط اقتصادي والمزارعين كفئة مجتمعية، متطرقا لمكانة هذا النشاط داخل المجتمعات الإسلامية عامة والمغربية على وجه الخصوص، وكذا لموقع المزارعين داخل الخريطة المجتمعية لتلك المجتمعات. وسنحاول من خلال هذه الدراسة الإجابة على السؤال التالي: كيف تمثّل العمل الزراعي وممارسيه في النسق الفكري الخلدوني؟

الكلمات المفتاحية: ابن خلدون، المقدمة، الزراعة، المزارعون، المغرب الإسلامي.

Abstract:

This study aims to show question khaldounian intellectual representations about agriculture and farmers through his famous book “The Introduction”, in which Ibn Khaldoun had dealt the topic of agriculture as an economical activity, and the farmer as societal class stasting the position of this activity in the maps of Islamic societies in general, and Moroccan in particular. So the main question here is: what are the parameters of the agriculture concept in Ibn Khaldoun thought ?

Keywords: Ibn Khaldoun, Almukaddima, Agriculture, Farmers, Islamic Morocco.

مقدمة:

لقد توزعت أفكار ابن خلدون ونظرياته حول الزراعة والمزارعين في أبواب عديدة من الكتاب الأول الذي تعرض فيه لـ "طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والأسباب"، نجد أهمها في الباب الخامس الذي شرح فيه آراءه ونظرياته عن "المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الأحوال"[1]، حيث خص الفلاحة بفصلين من هذا الباب؛ وهما الفصل الثامن الذي جاء تحت عنوان "فصل في أن الفلاحة من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو"[2]، والفصل الرابع والعشرون الذي حمل عنوان "فصل في صناعة الفلاحة"[3]. كما توزعت أفكار أخرى في فصول عدة من الباب الثاني الذي تعرض فيه لـ"العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الأحوال"[4]. وسنحاول من خلال هذا البحث معالجة موقف ابن خلدون من العمل الزراعي، بالموازاة مع دراسة نظرته لممارسي هذا العمل، وذلك بالإجابة على الإشكاليات التالية: ما أهم محددات المفهوم الخلدوني للزراعة؟ كيف تمثل النشاط الزراعي وممارسيه في الذهنية الخلدونية؟ ما هي الأسباب والخلفيات التاريخية التي تشكلت على ضوئها النظرة الخلدونية للزراعة والزرّاع؟

1. المفهوم الخلدوني للزراعة:

عرّف ابن خلدون الزراعة بأنها صناعة "ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها وازدراعها، وعلاج نباتها، وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه، وإحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبابه ودواعيه"[5].

أما من حيث التطور التاريخي للأنشطة الاقتصادية[6]، فقد اعتبر صاحب المقدمة الزراعة النشاط الاقتصادي الأقدم للإنسان[7]، وسبب ذلك "أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا، إذ يمكن وجوده من دون جميع الأشياء إلا من دون القوت"[8]، فضلا عن بساطتها وقربها من الطبيعة والفطرة البشرية، وعدم احتياج صاحبها إلى نظر ولا علم، وعلى هذا الأساس فهي تنسب إلى آدم عليه السلام إذ "أنه معلمها والقائم عليها"[9].

وبعد تقسيمه العمران البشري إلى عمران بدوي وآخر حضري، نجد ابن خلدون يضع الزراعة في خانة الأنشطة الاقتصادية التي يختص بها العمران البدوي، فبما أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه، وبما أن الزراعة أقدم وجوه المعاش[10]، فهي إذن صناعة بدوية"لا يقوم عليها الحضر ولا يعرفونها"[11]، وباعتبار زرع الأرض"أصيل في الطبيعة وبسيط في منحاه...لا تجد ينتحله أحد من أهل الحضر في الغالب، ولا من المترفين"[12]، وذلك راجع إلى كون "أحوالهم كلها ثانية عن البداوة، فصنائعهم ثانية عن صنائعها وتابعة لها"[13]، لذلك نجد سكان الحواضر والأمصار غالبا ما يحترفون الصناعة والتجارة[14]، عكس البدو "المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام"[15]، كما أن الاشتغال بالزراعة وتربية المواشي يضطر صاحبه ولا بد إلى سكنى البادية؛ لأنها تتسع "لما لا تتسع له الحواضر من المزارع والفدن والمسارح للحيوان"[16].

2. النظرة الخلدونية للعمل الزراعي وممارسيه:

تجسدت النظرة الخلدونية للزراعة والزرّاع في موقفين مختلفين؛ الأول تمثل في اعتبار الزراعة أقدم وجوه المعاش الطبيعي، لما أنها توفر الأقوات الضرورية لاستمرار حياة الإنسان[17]، وبالتالي لا يمكن لأي مجتمع الاستغناء عنها[18]، إضافة إلى اعتباره المزارعين والحرفيين الوحيدين الذين ينتجون المواد الأساسية للعيش[19]، فكان هذا الموقف يعبر عن نظرة تقدير واعتبار أما الموقف الثاني فكان يعكس نظرة لا تخلو من الاحتقار وعدم الاعتبار[20]، حيث اعتبر صاحب المقدمة الزراعة "معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو"[21]، وخصّ المشتغلين بها بصفة "المذلة"[22].

وللاستدلال على رأيه هذا، استشهد ابن خلدون بحديث نبوي أورده البخاري[23]في صحيحه وجاء فيه: "حدَّثنا عبد الله بن يوسف، حدَّثنا عبد الله بن سالم الحِمْصِيُّ، حدَّثنا محمد بن زياد الأَلْهَانيُّ عن أبي أُمَامَة البَاهِلِيّ قال –ورأى سكةً وشيئامن آلة الحَرْثِ-فقال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يَدخُل هذا بيت قومٍ إلّا أدخله الله الذُّلَّ"، غير أن فهم هذا الحديث لا يصح أن يتم بمعزل عن بقية الأحاديث المتعلقة بالزرع أو الزراعة[24].

نجد في كتب الحديث أحاديث كثيرة تمدح الزراعة وتحث على إصلاح الأرض وخدمتها، وترفع من قيمة العمل الزراعي في حياة المجتمع الإسلامي[25]، منها قوله صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ مُسْلِم يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُل مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَان أَوْ بَهِيمَة، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَة"[26]، وقوله أيضا: "مَا مِنْ مُسْلِمَ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْه لَهُ صَدَقَة، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَة. وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَة، ومَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَة، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَة"[27]، وقال أيضا: " مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْض فَلْيَزْرَعْهَا، أَوْ لِيَمْنَحْهَا فإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيُمْسِكْ أَرْضَهُ"[28]...وغيرها.

ويمكن إدراج اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالعمل الزراعي في إطار تشجيعه للعمل اليدوي والسعي للكسب، إذ لما سئل عليه الصلاة والسلام: "أي الكسب أطيب وأفضل؟ قال: عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور"[29]، وقد فضل كثير من علماء الإسلام على اختلاف مشاربهم الفقهية وانتماءاتهم المذهبية الزراعة على باقي طرق الكسب، ففي هذا السياق يقول الماوردي(ت450هـ/1058م): "أصول المكاسب الزراعة والتجارة والصنعة...والأرجح عندي أن أطيبها الزراعة، لأنها أقرب إلى التوكل"[30]، كما اعتبر النووي[31](ت676هـ/1277م) الزرع أفضل المكاسب لأنه من عمل يد المسلم، ولأن فيه توكلا على الله ونفعا عاما للمسلمين والدواب، كما فضل أبو عبد الله محمد بن الحاج[32] (ت737هـ/1336م) الزراعة عن باقي الصنائع قائلا: "...فما في الصنائع كلها أبرك منها ولا أنجح...لأن فيها الثواب الجزيل والنفع الكثير...إذ أن خيرها متعد للزارع ولإخوانه المسلمين وغيرهم والطير والبهائم والحشرات...". لكن، الؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف يذم النبي صلى الله عليه وسلم زرع الأرض في حديث، ويمدحه ويحث عليه في أحاديث أخرى؟ وللإجابة على هذا السؤال يجب وضع حديث الذم ضمن السياق الذي جاء فيه.

لقد أورد البخاري هذا الحديث في "باب ما يُحَذَّرُ من عواقب الاشتغال بآلة الزرع، أو مجاوزة الحدّ الذي أُمِرَ به"[33]، ومعنى ذلك أن التحذير ينصب على الإكثار من الزرع وتجاوز الحد فيه، وليس على الاشتغال بالزراعة[34]، وقد اتفق شارحي هذا الحديث أن الزرع المذموم الذي حذر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين منه؛ هو الذي يشغل صاحبه عن الجهاد والذود عن ديار الإسلام، فيركن المسلمون نتيجة لذلك للراحة وتتغلب عليهم الأمم الأخرى فيلزمهم الذل[35]، فترك الجهاد في اعتقاد المسلمين يجلب المذلة، نستشف ذلك مما ورد في الخطبة التي ألقاها أبو بكر الصديق(11-13هـ/632-634م) يوم بيعته كأول خليفة في الإسلام، حيث حذر المسلمين من ترك الجهاد لأن في ذلك سببا لذلهم وانكسار شوكتهم بين الأمم قائلا: "...لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله؛ فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل..."[36]. ولهذا السبب أُنْشِئت دواوين الجند وفُرضت الأعطيات والأرزاق لأهل المدينة وللقبائل في الأمصار الجديدة لئلا ينشغلوا عن القتال[37]، ولخوف عمر بن الخطاب(13-23هـ/634-644م) من انشغال الجند المقاتلة عن الجهاد بالزراعة، امتنع عن تقسيم الأراضي المفتوحة على الفاتحين، واعتبرها فيئا لكافة المسلمين، يمنع تخميسها[38]، لأنه "لو قسمها بينهم اشتغلوا بالزراعة وقعدوا عن الجهاد فيكر عليهم العدو، وربما لا يهتدون لذلك العمل أيضا، فإذا تركها في أيديهم وهم أعرف بذلك العمل اشتغلوا بالزراعة وأدوا الجزية والخراج، فيصرف ذلك إلى المقاتلة ويكونون مشغولين بالجهاد"[39].

ومما يقيم الحجة على أن الاشتغال بالزراعة لم يكن عملا مذموما في الإسلام، أن النبي صلى الله عليه وسلم ازدرع بالجُرْفْ[40]، وكان له فدك[41] وسهم[42] بخيبر[43]، كما اشتغل عدد كبير من الصحابة بزراعة الأرض حتى لم يعد"بِالمَدِينَة أَهْلُ بَيْتِ هِجْرَة إِلَّا يَزْرَعُونَ عَلَى الثُّلُثِ والرُّبُعِ"[44]، وكان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض بخيبر تدعى "ثمغ"، وكان لابن مسعود والحسن بن علي وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم مزارع بالسواد يزرعونها ويؤدون خراجها[45]، ولم يجد بعض الصحابة حرجا في كراء مزارعه للعمل بها، كعبد الله بن عمر بن الخطاب الذي كان "يُكْري مزارعه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وصدرا من إمارة معاوية"[46]، ومما ساعدهم على ذلك أن الزراعة كانت النشاط الغالب على أهل المدينة، التي عرفت منذ القرن السادس للميلاد تحولا اقتصاديا تمثل في الانتقال من الاقتصاد البدوي إلى الاقتصاد الزراعي[47].

أما بشأن نَسْب ابن خلدون صفة الذلّة والمسكنة للمزارعين، لما أنهم مضطرون لدفع المغارم للدولة والخضوع لقهر عمالها وجباتها[48]، انطلاقا من نظريته القائلة بأن "المغرم موجب للمذلة"[49]؛ فهو رأي لا بد أن يخضع للنقد والتحليل

لكي يتسنى لنا فهمه فهما صحيحا، وفي سبيل ذلك، وجب علينا أولا فهم موقف ابن خلدون من النظام الجبائي السائد في مغرب القرن الثامن الهجري/14م، وتأثيره على المجتمعات الزراعية.

يرى صاحب المقدمة أن المغارم المفروضة على المزارعين تنقسم إلى نوعين: مغارم شرعية وأخرى سلطانية[50]؛ أما الشرعية فقيمتها محددة من الشارع الحكيم، والسلطان نائب فقط ما عليه سوى توزيعها في وجوهها الشرعية[51]؛ وتتمثل أساسا في الزكاة، التي تؤدى عما تخرجه الأرض من الزروع والثمار إذا اكتمل نصابها الشرعي[52]، وهي الركن الثالث للإسلام، وفريضة وجب على المسلم أداءها[53]، تنفيذا للأمر الإلهي القائل: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[54]، والقائل أيضا: ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حِصَادِهِ﴾[55]، وإضافة إلى الزكاة كان المزارع يدفع ضريبة الخراج، وهي الضريبة التي توضع على الأرض ومصدرها الاجتهاد[56]، ويترك تقدير قيمتها إلى رأي الإمام، مع الأخذ بعين الاعتبار وضعية الأرض من حيث الصلح أو العنوة، وخصب التربة ونوع الحاصل، وطريقة السقي طبيعية أو صناعية، ويضيف بعضهم إلى ذلك البعد عن الأسواق[57].

أما المغارم السلطانية فهي تلك التي لم يقرّها الشرع[58]، بل تستحدثها الدولة لسد عجز بيت المال، الناجم عن تراجع الدخل وارتفاع الإنفاق[59]، خاصة في أوقات الحروب والأزمات[60]، وهي عديدة ومتنوعة ترتبط غالبا بالوضعية السياسية والاقتصادية للدولة[61]؛ فهذه الأخيرة، إذا كانت بدوية على سنن الدين فلا تقتضي إلا المغارم الشرعية؛ أما إذا أخذت بدين الحضارة وصارت على سنن التغلب والعصبية فإنها تستحدث مغارم إضافية تتزايد بحسب حاجاتها ونفقاتها المالية[62].

لكن ما تجدر الإشارة إليه، أن المغارم الشرعية كانت قليلة الوزائع على رأي ابن خلدون[63]، وكان الزرّاع يؤدونها طواعية لعلمهم أنها حق من حقوق الله تعالى، أما المغارم السلطانية؛ فلم ينفرد الزرّاع وحدهم بأدائها إذ يؤديها التجار والحرفيون بل الأفراد العاديون الذين لا يملكون قسطا من الثروة[64]، كما أن التعرض للقهر والاستطالة من قبل السلطة وجباتها لم يقتصر على الزرّاع وحدهم بل مسّ التجار والصناع وسائر أهل المغارم، ومع ذلك لم ينسب لهم ابن خلدون صفة الذلّ والمهانة[65]. فلماذا المزارع وحده من كان "ذليلا بائسا بما تتناوله أيدي القهر والاستطالة"[66] ؟

لفهم النظرة الخلدونية للزراعة والمشتغلين بها، وجب علينا وضعها في سياقها التاريخي، فاعتبار ابن خلدون الزراعة نشاط اقتصادي ينتحله المستضعفون الخاضعون لقهر السلطة وإجحاف النظام الجبائي[67]، جاء وفق خلفية معينة تتمثل في الإطار الزماني والمكاني لتأليف مقدمته أي مغرب القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد[68]، أين سيطر "الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور"[69]، وأصبح "نسيان حقوق الله تعالى في المتمولات واعتبار الحقوق كلها مغرما للملوك والدول"[70]، وصارت الزكاة مغرما، يدفعها الناس قهرا وكرها[71]، بعد أن كانت في أول الأمر متروكة لأمانات المسلمين ولم تكن وظيفة موضوعة عليهم، بل يؤديها الزرّاع طوعا واستجابة لأمر الشارع الحكيم، وقد استشهد ابن خلدون على ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ الزَّكَاةُ مَغْرَمًا"[72].

ثم إن الفلاحة المغربية خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، قد عانت كثيرا من ثقل المغارم السلطانية[73]، وذلك ناجم عن حاجة الدول القائمة آنذاك "إلى الزيادة في الجباية لما تحتاج إليه الحامية من العطاء والسلطان من النفقة"[74]، إذ أن السلطان "لا يُنْمِي ماله ولا يُدِرُّ موجوده إلا الجباية"[75]، وبما أن "معظم الجباية إنما هي من الفلاحين والتجار"[76]، كان أن أطلقت السلطة أيدي العمال والجباة على أهل المغارم خاصة المزارعين منهم[77]، ونال هؤلاء من ضيم الجباة ما لم تنله أي فئة اجتماعية أخرى؛ لدرجة أن الجابي أصبح يقدر قيمة المغارم المفروضة على الزرع والزيتون قبل حصاده أو قطافه أو عصره[78]، فحصل من ذلك للعمال والجباة "شيء طائل من أموال الجباية لا يُظْهِرُهُ الحسبان"[79].

يضاف إلى ذلك؛ أنه في حال رفض المزارع أداء ما هو موضوع عليه من مغارم أو تماطل في ذلك[80]؛ كانت عقوبته إما السجن أو الإهانة من قبل صاحب المغرم[81]، ويصف لنا ابن الخطيب لسان الدين[82] (ت776هـ/1374م) معاناة المزارعين من ثقل المغارم السلطانية قائلا: "والرعايا استولت عليها المغارم ونَزَفَها الحَلْب حتى عجزت عن الفَلْح وضعفت عن الإثارة والبذر"، ونتيجة لتزايد قيمة الضرائب المفروضة على المزارعين ومزروعاتهم وأراضيهم لم يبقى في بلاد المغرب

الإسلامي كله "سوى القليل من الفلاحين الذين يستطيعون توفير ما يلزمهم ضرورة من لباس وطعام"[83].

ومما تجدر الإشارة إليه أن سياسة إلزام المزارع المغربي بأداء المغارم خلال هذه الفترة، لم تقتصر على الدولة وجباتها فحسب، بل تعدتها لتشمل أشياخ القبائل الذين أقطعتهم الدولة جباية العديد من الجهات[84]، إضافة إلى بعض القبائل المحاربة التي استقلت ببعض مجالات المغرب، وفرضت على المزارعين دفع المغارم والإتاوات تجنبا لغزواتها وغاراتها[85]، مستغلة تراجع نفوذ الدول القائمة آنذاك وتقلص ظل سلطانها[86]، ما أضر كثيرا بالفلاح المغربي وجعله يعيش ذليلا بائسا عاجزا عن مواجهة هذا القهر الجبائي.

وعليه نخلص إلى أن رأي ابن خلدون القائل بأن العمل الزراعي يجلب المذلة لصاحبه، لأنه يضطره إلى أداء المغارم والخضوع لقهر العمال والجباة؛ هو رأي نابع من مشاهداته لما آل إليه واقع المزارع المغربي في عصره، جراء اختلال النظام الجبائي وكثرة تجاوزات العمال والجباة، خاصة وأن الرجل قد مارس العمل الجبائي أيام توليه الحجابة في بجاية سنة 766هـ/1365م، إذ كان يخرج بنفسه لاستيفاء الجباية من القبائل البربرية المتوطنة بجبال بجاية[87]، فكان بذلك عارفا بخبايا العمل الجبائي وشاهدا على ما ينال الزرّاع من ضيم وإهانة، ما ترك أثرا بالغا في فكره؛ نستجلي أثره من خلال نظريته حول الجباية وتأثيرها على المكانة الاجتماعية للزرّاع.

يضاف إلى ذلك، فإن نظرة ابن خلدون للزراعة وأهلها؛ لا تعدو عن كونها تجسيدا لرؤية أهل عصره[88]، إذ أن المجتمع المغربي وقتئذ كان مجتمعا قبليا، ومعروف عن البيئات القبلية سواء البربرية أو العربية احتقارها للمهن اليدوية كالفلاحة، لما أنها تفرض عليها الاستقرار والخضوع للسلطة، وهو أمر يرفضه المجتمع القبلي بشدة، فطبيعي أن تكون نظرة هؤلاء للفلاحين نظرة لا تتسم بالاحترام[89].

وخلاصة القول، أن ما صاغه ابن خلدون من أفكار ونظريات حول الزراعة والمزارعين؛ كان انطلاقا من تجربته الذهنية والسلوكية من جهة؛ ومن الواقع المغربي الذي عاشه وعاينه خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي من جهة ثانية، فجاءت نظرياته مجسدة لذلك الواقع، غير أنه سحبها على كافة الحقب التاريخية السابقة لعصره، وهذا يتنافى مع المنطق؛ إذ أنه مهما كانت قيمة آرائه ونظرياته، فهي لا تعبر إلا عن تلك الحقبة الزمنية التي عاصرها، ولا ينبغي لنا سحبها عن كافة الحقب التاريخية، مهما بلغ انبهارنا بعبقرية صاحبها[90].

خاتمة:

بعد دراستنا لنظرة ابن خلدون للزراعة والمزارعين على ضوء ما حوته مقدمته من أفكار ونظريات حول ذلك، نخلص إلى النتائج التالية:

1. عدّ ابن خلدون الزراعة أقدم طرق كسب المعاش، وجعلها من اختصاص البدو.

2. سجلنا وجود مفارقات عديدة بين نظرة ابن خلدون للزراعة ونظرته للمشتغلين بها؛ فمن جهة نجده يقدّر العمل الزراعي، ويعتبره أساس الحياة البشرية، باعتباره مصدر توفير القوت الضروري لعيش البشر، غير أنه من جهة أخرى، يحتقر ممارسيه وينسب لهم صفة "الذلة والمسكنة".

3. كانت وضعية الزرّاع إزاء النظام الجبائي، هي المنطلق الذي اعتمده ابن خلدون في تصنيفه الاجتماعي لهم.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.
2. أبو يوسف يعقوب: كتاب الخراج، دط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.
3. البخاري حمد أبي عبد الله: صحيح البخاري، ط01، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق-بيروت، 2002م.
4. ابن بطال أبي الحسن علي: شرح صحيح البخاري، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، جز06، دط، مكتبة الرشد، الرياض، دت.
5. بنميرة عمر: النوازل والمجتمع: مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط، ط01، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2012م.
6. بولعسل احسن: الضرائب في المغرب الإسلامي منذ عهد الولاة حتى سقوط الموحدين 96-668هـ/715-1269م، تقديم عبد العزيز فيلالي، ط01، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
7. بويلي سكينة: الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون والمقريزي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، تخصص اقتصاد اسلامي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة 01، الجزائر، 2014-2015م.

8. تيتاو حميد: الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609-869هـ/1212-1465م إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية، دط، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 2009م.

9. الجنحاني الحبيب: المجتمع العربي الإسلامية الحياة الاقتصادية والاجتماعية، دط، عالم المعرفة، الكويت، 2005م.

10. جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

11. ابن الحاج محمد ابي عبد الله: المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، جز04، دط، مكتبة دار التراث، القاهرة، دت.

12. ابن حزم أبي محمد علي: المحلّى، جز08، دط، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، 1930.

13. حسن محمد: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جز02، دط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1999م.

14. حسين طه: فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تعريب: محمد عبد الله عنان، دط، مكتبة القاهرة، مصر، 2006م.

15. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله: معجم البلدان، جز02، دط، دار صادر، بيروت، 1977م.

16. خزنة كاتبي غيداء: الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري: الممارسات والنظرية، ط03، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001م.

17. ابن الخطيب لسان الدين: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، جز02، دط، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، دت.

18. ابن خلدون عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، جز02، ط07، دار نهضة مصر للنشر، مصر، 2014م.

19. ابن خلدون عبد الرحمن: رحلة ابن خلدون، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

20. ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق سهيل زكار، جز07، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000م.

21. دحماني سهام: النظام الضريبي للدولة الزيانية(633/1236-962/1554)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، تخصص التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم والاجتماعية، جامعة قسنطينة02-عبد الحميد مهري-، الجزائر، 2017-2018م.

22. الدوري عبد العزيز: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط01، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007م.

23. الدوري عبد العزيز: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط03، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995م.

24. السرخسي شمس الدين: المبسوط، جز10، دط، دار المعرفة، بيروت، دت.

25. شدادي عبد السلام: ابن خلدون الإنسان ومنظر الحضارة، ترجمة: حنان قصاب حسن، ط01، المكتبة الشرقية، بيروت، 2016م.

26. الشيباني محمد بن الحسن: الاكتساب في الرزق المستطاب، تحقيق محمود عرنوس، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

27. الطبري محمد أبو جعفر بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جز03، ط02، دار المعارف، مصر، 1969م.

28. العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب(المغرب في عهد الوحدة والسلطة)، جز02، ط02، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م.

29. العسقلاني أحمد بن حجر: فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، جز05، دط، المكتبة السلفية، دم، دت.

30. العيني أبي محمد بدر الدين: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري المشهور باسم العيني على البخاري، جز11، دط، دار الفكر، دم، دت.

31. الفراهيدي الخليل بن أحمد: كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، جز03، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

32. قرني حسن: المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية (138-422هـ/756-1031م)، ط01، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012م.

33. مسلم أبي الحسين بن الحجّاج: صحيح مسلم المسمّى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ط01، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2006م.

34. ابن منظور أبي الفضل جمال الدين: لسان العرب، جز12، دط، دار صادر، بيروت، دت.

35. نشأت محمد علي: رائد الاقتصاد ابن خلدون، دط، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1944م.

36. النووي أبي زكرياء يحيى: المجموع شرح المهذب للشيرازي، تحقيق محمد نجيب المطيعي، جز09، دط، مكتبة الإرشاد، جدة، دت.

37. الوزان الحسن: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، جز01، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.
38. الوردي علي: منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، ط02، دار كوفان للنشر، لندن، 1994م.
39. الونشريسي أحمد أبي العباس: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، جز01 و05، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981م.
40. يسري عبد الرحمن: إسهام عبد الرحمن بن خلدون في الفكر الاقتصادي، مجلة دراسات اقتصادية إسلامية، المجلد13، العدد02، 2006م، ص.ص01-151.
41- Marouani, Albert, (2017), L'apport d'Ibn Khaldûn à la pensée économique : Essai de réevaluationcritique, *Critique économique*, n°32, p.p42-46.
42-Muhammad Zeki Mahmood Al-Leheabi, Saleh Muhammad Zeki Mahmood Al-Leheabi, Moujahid Mustafa Bahjat and Abdullatif Ahmadi Ramchahi, (2013), "The Economic Thought Of Ibn Khaldoun In His "Muqaddimah", *World Applied Sciences Journal*, 25(1), p.p81-102.

.الهوامش:

[1] -ابن خلدون عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط07، دار نهضة مصر للنشر، مصر، 2014م، 831/2.

[2] -المصدر نفسه، 849/2.

[3] -المصدر نفسه، 464/2، 465.

[4] -المصدر نفسه، 867/2.

[5] -المصدر نفسه، 864/2.

[6] -عبد الرحمن يسري: إسهام عبد الرحمن بن خلدون في الفكر الاقتصادي، مجلة دراسات اقتصادية إسلامية، المجلد13، العدد02، 2006م، ص ص22،23.

[7] -ابن خلدون: مصدر سابق، 836/2،864. عبد السلام شدادي: ابن خلدون الإنسان ومنظر الحضارة، ترجمة حنان قصاب حسن، ط01، المكتبة الشرقية، بيروت، 2016م، ص498.

[8] -ابن خلدون: مصدر سابق، 864/2،865.

[9] -المصدر نفسه، 836/2.

[10] -المصدر نفسه، 836/2،865.

[11] -المصدر نفسه، 865/2.

[12] -المصدر نفسه، 849/2.

[13] -المصدر نفسه، 865/2.

[14] -المصدر نفسه، 468/2.

[15] -المصدر نفسه، 463/2.

[16] -المصدر نفسه، 467/2،468.

[17] -المصدر نفسه، 836/2،864. Muhammad Zeki Mahmood Al-Leheabi, Saleh Muhammad Zeki Mahmood Al-Leheabi, Moujahid Mustafa Bahjat and Abdullatif Ahmadi Ramchahi, "The Economic Thought Of Ibn Khaldoun In His "Muqaddimah", World Applied Sciences Journal, 25(1), 2013, p46.

[18] -علي الوردي: منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، ط02، دار كوفان للنشر، لندن، 1994م، ص97.

[19] - Marouani, Albert : L'apport d'Ibn Khaldûn à la pensée économique : Essai de réevaluationcritique, Critique économique, n°32, 2017, p89..

[20] -محمد حسن: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، دط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1999م، 410/2.

[21] -ابن خلدون: مصدر سابق، 849/2.

[22] -المصدر نفسه، 849/2.

[23] -أبي عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ط01، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-بيروت، 2002م، ص558.

[24] -عبد الرحمن يسري: مرجع سابق، ص24.

[25] -الحبيب الجنحاني: المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، دط، عالم المعرفة، الكويت، 2005م، ص49.

[26] -البخاري، مصدر سابق، ص558.

[27] -مسلم أبي الحسين بن الحجّاج: صحيح مسلم المسمّى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ط01، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2006م، ص728.

[28] -المصدر نفسه، ص563.

[29] -العيني أبي محمد بدر الدين: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري المشهور باسم العيني على البخاري، دط، دار الفكر، دم، دت، 185/11.

[30] -المصدر السابق، 185/11،186.

[31] -النووي أبي زكرياء يحيى: المجموع شرح المهذب للشيرازي، تحقيق محمد نجيب المطيعي، دط، مكتبة الإرشاد، جدة، دت، 65/9.

[32] -المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، دط، مكتبة دار التراث، القاهرة، دت، 3/4، 4.

[33] -مصدر سابق، ص558.

[34] -بويلي سكينة: الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون والمقريزي، رسالة دكتوراه غير منشورة، تخصص اقتصاد اسلامي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة01، 2014-2015م، ص144.

[35] -ابن بطال أبي الحسن علي: شرح صحيح البخاري، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دط، مكتبة الرشد، الرياض، دت، 457/6. ابن حزم أبي محمد علي: المحلّى، دط، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، 1349ه، 210/8. ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دط، المكتبة السلفية، دم، دت، 4/5، 5.

[36] -الطبري أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط02، دار المعارف، مصر، 1969م، 210/3.

[37] -المصدر نفسه، 613/3-618. عبد العزيز الدوري: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط01، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007م، ص16.

[38] -أبو يوسف يعقوب: كتاب الخراج، دط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ص ص23، 24. غيداء خزنة كاتبي: الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري الممارسات والنظرية، ط03، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001م، ص335.

[39] -السرخسي شمس الدين: المبسوط، دط، دار المعرفة، بيروت، دت، 40/10.

[40] -موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. لمزيد من التفاصيل أنظر: الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت: معجم البلدان، دط، دار صادر، بيروت، 1977م، 128/2.

[41] -موضع بالحجاز مما أفاءه الله تعالى على الرسول عليه الصلاة والسلام. الفراهيدي الخليل بن أحمد: كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط01، دار الكتب العلمية بيروت، 2003م، 308/3.

[42] -السهم لغة يعني النصيب والحظ. لمزيد من التفاصيل أنظر ماد سهم عند ابن منظور أبي الفضل جمال الدين: لسان العرب، دط، دار صادر، بيروت، دت، 309/12.

[43] -الشيباني محمد بن الحسن: الاكتساب في الرزق المستطاب، تحقيق محمود عرنوس، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م، ص ص40، 41.

[44] -البخاري: مصدر سابق، ص560.

[45] -الشيباني: مصدر سابق، ص ص40، 41.

[46] -البخاري: مصدر سابق، ص564.

[47] -عبد العزيز الدوري: مرجع سابق، ص12.

[48] -ابن خلدون: مصدر سابق، 849/2. عبد السلام شدادي: مرجع سابق، ص506. علي الوردي: مرجع سابق، ص97.

[49] -ابن خلدون: مصدر سابق، 499/2.

[50] -المصدر نفسه، 688/2.

[51] -سهام دحماني: النظام الضريبي للدولة الزيانية(633/1236-962/1554)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، تخصص التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة02-عبد الحميد مهري-، 2017-2018م، ص153.

[52] -حسن قرني: المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية (138-422ه/756-1031م)، (ط01)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012م، ص331.

[53] -جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص389.

[54] -سورة المزمل، الآية 18.

[55] -سورة الأنعام، الآية 142.

[56] -بولعسل احسن: الضرائب في المغرب الإسلامي منذ عهد الولاة حتى سقوط الموحدين 96-668هـ/715-1269م، (تق) عبد العزيز فيلالي، ط01، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2013م، ص46.

[57] -عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط03، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995م، ص207.

[58] -بولعسل احسن: مرجع سابق، ص56.

[59] - Muhammad Zeki Mahmood Al-Leheabi, Saleh Muhammad Zeki Mahmood Al-Leheabi, Moujahid Mustafa Bahjat and Abdullatif Ahmadi Ramchahi,op.cite , p45..

[60] -حسن قرني: مرجع سابق، ص333.

[61] -سهام دحماني: مرجع سابق، ص156.

[62] -ابن خلدون: مصدر سابق، 688/2.

[63] -المصدر نفسه، 688/2.

[64] -طه حسين: فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تعريب محمد عبد الله عنان، دط، مكتبة القاهرة، مصر، 2006م، ص169.

[65] -محمد علي نشأت: رائد الاقتصاد ابن خلدون، دط، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1944م، ص36.

[66] -ابن خلدون: مصدر سابق، 849/2.

[67] -بويلي سكينة: مرجع سابق، ص145.

[68] -المرجع نفسه، ص145.

[69] -ابن خلدون: مصدر سابق، 849/2.

[70] -المصدر نفسه، 849/2.

[71] -علي الوردي: مرجع سابق، ص97.

[72] -ابن خلدون: مصدر سابق، 849/2.

[73] -عمر بنميرة: النوازل والمجتمع: مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط، ط01، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2012م، ص97.

[74] -ابن خلدون، مصدر سابق، 690/2.

[75] -المصدر نفسه، 693/2.

[76] -المصدر نفسه، 692/2.

[77] -حميد تيتاو: الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609-869هـ/1212-1465م إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية، دط، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 2009م، ص242.

[78] -الونشريسي أبي العباس أحمد: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981م، 365/1.

[79] -ابن خلدون: مصدر سابق، 691/2.

[80] -حميد تيتاو: مرجع سابق، ص242.

[81] -الونشريسي: مصدر سابق، 306/5.

[82] -نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، دط، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، دت، 270/2.

[83] -الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، 289/1.

[84] -ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق سهيل زكار، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000م، 69/7، 124، 217. حميد تيتاو: مرجع سابق، ص242. عمر بنميرة: مرجع سابق، ص101.

[85] -ابن خلدون: العبر، 220/7. البادسي عبد الحق إسماعيل: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد اعراب، ط02، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ص61.حميد تيتاو: مرجع سابق، ص242.

[86] -عمر بنميرة: مرجع سابق، ص101.

[87] -ابن خلدون عبد الرحمن: رحلة ابن خلدون، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص96.

[88] -محمد حسن: مرجع سابق، 410/2.

[89] -عبد العزيز الدوري: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص36.

[90] -عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب(المغرب في عهد الوحدة والسلطة)، ط02، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م، 2/228،235،238.